**محاضرة بعنوان (تطور ظاهرة الإرهاب الدولي)**

**الارهاب ظاهرة صاحبت البشرية منذ القدم، فقد كان له دور مشهود تقريبا في كل أنواع الصراع بين الأفكار والارادات او المجموعات العرقية في التاريخ، وقد عرف العالم الإرهاب في صوره المختلفة منذ أقدم العصور، الا انه كشكل من اشكال العنف لم يقترن بالأغراض السياسية إلا مع قيام الثورة الفرنسية والتي اخرجته من اعتباره عملا فرديا منعزلا الى كونه أسلوبا منظما محدد الأهداف والغايات، بل هناك من يرجع ظهور كلمة (رعب، إرهاب، إرهابيين) الى العصور الحديثة وارتباطها بأسماء زعماء الثورة الفرنسية مثل (روبسبير، سان جيست)، وإرهاب اليوم لا يعدو ان يكون سوى امتداد لإرهاب الامس.**

**أولا: الإرهاب في العصور القديمة**

**تشير البرديات المصرية القديمة عن الصراع الدموي بين الكهنة وصور الذعر والقسوة التي سادت بينهم كما حرمت قوانين الحضارتين اليونانية والرومانية الإرهاب والجرائم السياسية المعادية للأمم، وتشير بعض المراجع الى الأنشطة الإرهابية التي قام بها اليهود وتحديدا طائفة (الزيلوت) ضد الإمبراطورية الرومانية عام (66م) وكانت اول منظمة إرهابية عرفها التاريخ هي منظمة (سيكاري) الدينية في فلسطين والتي شكلها بعض المتطرفين اليهود الوافدين اليها في نهاية القرن الأول قبل الميلاد بهدف إعادة بناء الهيكل الذي سمي (المعبد الثاني)، وذهب الزيلوت في رفضهم للاستعمار الروماني الى حد القيام بأعمال عنف ضد كل ما يمت بصلة الى الإمبراطورية الرومانية مثل ضرب المنشآت العامة وايقاع الضرر بالقصور والمؤسسات واتلاف المستندات والمحفوظات الخاصة بالإمبراطورية.**

**وعرف الاشوريون الإرهاب في القرن السابع قبل الميلاد واستخدموا الوسائل الإرهابية ضد اعدائهم مثل قتل الرجال والنساء والشيوخ والأطفال دون تمييز في المدن التي يستولون عليها، كما عرف الفراعنة الإرهاب في عام (1198 قبل الميلاد) واطلقوا عليه اسم (جريمة المرهبين) حيث كانت هناك محاولة لاغتيال الملك رمسيس الثالث عرفت ب(مؤامرة الجريمة الكبرى)، اما الاغريق فكانت الجريمة السياسية عندهم مرتبطة بالمفهوم الديني وذلك لخلطهم بين الالهة التي كانوا يعتقدون بها والبشر لكن هذه النظرة بدأت تتغير بظهور الحضارة اليونانية لينفصل تدريجيا مفهوم الجريمة السياسية عن الجريمة الدينية، واعتبرت الجريمة السياسية تلك التي تستهدف الدولة وبنائها الاجتماعي او ضد سيادة الشعب، ويمكن القول ان المجتمعات القديمة لم تعرف الإرهاب على صورته الدولية الحالية الا انه كجريمة تبقى جذوره ممتدة عبر التاريخ الإنساني.**

**ثانيا: الإرهاب في العصور الوسطى**

**استخدم نبلاء أوروبا في العصور الوسطى عصابات الإرهاب للإخلال بأمن اقطاعيات خصومهم، كما عرفت ثورات العبيد الذين كانوا يفرون من مقاطعات اسيادهم ويشكلون عصابات للانتقام والقتل والسرقة وإشاعة الفوضى في ارض الملاك بقصد توزيع الثروة وتمكين الخدم منها.**

**وفي القرن الحادي عشر ظهرت في الشرق وتحديدا في إيران وسوريا مجموعة دينية عرفت ب(الحشاشين) تنحدر من الاسماعيليين المسلمين وقد أراد هؤلاء الاحتفاظ بمعتقداتهم الدينية وعاداتهم الاجتماعية فاصطدموا بالسلجوقيين حكام المنطقة في ذلك الوقت الذين أرادوا تصفيتهم فراحوا يزرعون العنف والإرهاب عن طريق اغتيال الحكام والمسؤولين، ولم يتورعوا عن اغتيال أحد الخلفاء المسلمين وتصفية ملك القدس الصليبي (كونراد ذي مونغيرا).**

**وفي بداية القرن الثاني عشر ظهرت فرق وجماعات دينية وسياسية عديدة مارست الإرهاب أسلوبا للوصول الى أهدافها وكان الشرق الأقصى في تلك الفترة مسرحا لعملياتها ابرزهم مجموعة (الخناقين) في الهند والصين واليابان وكلن أعضاؤها يخنقون خصومهم بشريط مصنوع من الحرير ويعتبرونه قربانا للآلهة، وفي مرحلة التنازع الذي ثار بين سلطة الاباطرة والحكام في أوروبا وسلطة الكنيسة ظهرت شبه مباركة لهم للأعمال الإرهابية التي كانت تقترف باسم الدين المسيحي ولحسابه وهناك الكثير من الأمثلة يمكن ذكرها في هذا الجانب منها (مذابح عيد القديس بارثولوميو).**

**وعلى الرغم من هذا التاريخ الحافل للمسيحية واليهودية كممارسة فانه لم يحاول أي شخص ان يؤسس على هذا التاريخ نظرية في الإرهاب المسيحي واليهودي ولعله للسبب ذاته لا يمكن لأي عالم ولن يقبل أي استنساخ خاطئ على اعتبار الإسلام دين إرهابي وان الإسلام يستمد مرجعيته من الإرهاب وحكمهم في ذلك مؤسس على ما يسند للحشاشين من أفعال تاريخية، وقد وضعت الشريعة الإسلامية منذ (14) قرنا اول تشريع قانوني متكامل يصور الجرائم الإرهابية ويضع لها شروطا واركانا وعقوبات بما يكاد يتفق تماما مع الاتجاه الحديث في موضوع الإرهاب الدولي وتعريفه وتجريمه ورصدت له اشد العقوبات من خلال جريمتي البغي والحرابة (أي البروز لأخذ المال او لقتل او لإرعاب على سبيل المجاهرة والمكابرة اعتمادا على القوة مع البعد عن الإغاثة).**

**ثالثا: الإرهاب الدولي الحديث**

**عرفت العصور الغابرة صورا من العنف السياسي الا ان هذه الصور بأشكالها المتعددة كانت بعيدة الصلة عن مصطلح الإرهاب في مفهومه الحالي، ومما لا شك فيه ان تعبير الإرهاب هو من ابتداع الثورة الفرنسية التي اندلعت عام 1789 وطرحت أفكارا وايديولوجيا سياسية لها مضامين واضحة المعالم والدلالات، وقد بدأ الإرهاب كنظام استخدمته الثورة الفرنسية على شكل أسلوب عمل سياسي تبنته الحكومة الشرعية اثر سقوط (لويس السادس عشر) وقد مرت فرنسا بمرحلة اليعقوبيين خلال المدة (1792-1794) وكانت متأثرة بخطب (روبسبير) وكتابات (سان جيست) وأفكار (جان جاك روسو) وتم استخدام الإرهاب كأسلوب للعمل السياسي وصدر مرسوم في 28 آب 1792 سمح بمداهمة المنازل لنزع الأسلحة من جميع المشبوهين، وتم توقيف ثلاثة الاف مشبوه بتهمة معاداة الثورة وزجهم في السجون وعرفت تلك الفترة باسم (حكم الإرهاب) وتتحدد تاريخيا في المدة ما بين 10 آب 1792 وتاريخ سقوط روبسبير عام 1794 الا ان ممارسة الإرهاب بصورة قانونية لم تحصل بشكل علني وواضح الا ابتداء من 10 أذار 1793 وعرف عهد روبسبير ابشع عمليات إرهابية حيث قطع فيها رأس (140) الف فرنسي وسجن (300) الف اخرين.**

**وحدث خلال القرن التاسع عشر انقلاب في مركز الإرهاب، فقد انتقل من يد السلطة والدولة الى ايدي الافراد والمحكومين في صورة حركتين ثوريتين هما الحركة الفوضوية والحركة العدمية وقد ارتبطت كلا الحركتان بالأفكار الاشتراكية التي سادت في القرن التاسع عشر، واتجهت الحركتان للإرهاب كوسيلة لبث الرعب بهدف تدمير السلطة الحاكمة وزعزعتها وقد انتشرت هذه الحركات في فرنسا وانكلترا واسبانيا، وما يهمنا في هذا المجال هو علاقة هذه الحركات بالإرهاب فمع هاتين الحركتين اصبح الإرهاب وسيلة تستعمل ضد الحكومات والسلطات من خلال اللجوء الى وسائل غير قانونية، ونقطة الاختلاف هنا مع الأيديولوجيا اليعقوبية فيما يخص الإرهاب تتركز في ان الحركة الفوضوية والعدمية لجأتا الى الإرهاب كوسيلة يعتمدها المحكمون بصورة غير قانونية ضد الحكام الذين يمارسونها بصورة قانونية فالإرهاب هنا هو إرهاب الضعفاء ضد السلطة الحاكمة لإزالتها والقضاء عليها وهو بذلك إرهاب مضاد.**

**وعرفت هذه المرحلة ميلاد العديد من الحركات الثورية في أوروبا والتي لا زالت لها انعكاسات على الأنشطة الإرهابية حتى الوقت الحاضر ومن أهمها الحركة الايرلندية من اجل الاستقلال والتي بدأت عام 1891 ونشاط المنظمات الإرهابية التي قامت ضد الاحتلال التركي عام 1890 وكذلك حركة إقليم الباسك الاسبانية التي بدأت منذ ما قبل الحرب العالمية الأولى ولا زالت مستمرة حتى الان، ويمكن القول ان الحركتين الفوضوية والعدمية عملتا على اخراج الإرهاب من اطاره الرسمي الذي تمارسه السلطة الحاكمة الى نوع ثان من الإرهاب غير الرسمي يباشره الافراد، ومع مطلع القرن التاسع عشر رمت الثورة الفرنسية بظلالها على جيرانها في روسيا ومقدونيا وإيطاليا واسبانيا وبصورة خاصة في القارة الامريكية وظهرت في الولايات المتحدة الامريكية عام 1816 عدة حركات إرهابية كان أهمها مجموعة (كلو – كلوكس) التي اتسمت بالعنف الشديد ضد السكان السود.**

**رابعا: الإرهاب المعاصر**

**عرف الإرهاب تطورا من حيث الطبيعة والمدى في القرن العشرين اذ شهد امتدادا طبيعيا لصورتي الإرهاب الرسمي وغير الرسمي الذين سبق التطرق لهما واضفى بالمقابل نطاقا أوسع اذ لم يعد محصورا في إرهاب الأقوياء في مواجهة الضعفاء بمفهومه المحلي بل أصبح يعبر عن العلاقة بين دول ومعسكرات وفي مواضيع أخرى بين حضارات، ويمكن الإشارة هنا الى الإرهاب الشيوعي الذي سبق قيام الثورة البلشفية ووصولا الى الثورة التي قامت عام 1917 ، واصبح الإرهاب المنظم وسيلة من وسائل العمل السياسي وفق (لينين) منظر الثورة البلشفية في روسيا واصبح الإرهاب الشيوعي مرحلة تكتيكية يرسمها ويخططها الحزب حتى عام 1917 ولم تنتهي مسألة الإرهاب السياسي بقيام ثورة 1917 بل تفاعلت معها وأصبحت قطاعا لا يمكن نكرانه.**

**وعرفت الحرب العالمية الثانية الإرهاب من خلال عمليات التدمير والترهيب التي اثارتها في نفوس المدنيين عبر ما استخدم فيها من أسلحة محظورة والتي توجت بإلقاء الولايات المتحدة الامريكية للقنبلتين النوويتين على هيروشيما وناكازاكي في اليابان في آب عام 1945 والتي اعتبرت إرهابا لا يضاهى، كما استباحت الدول الاستعمارية أقاليم الشعوب الضعيفة فاضطهدتها وجوعتها وعذبتها باسم المدنية وضمن اطر رسمية نظمتها عصبة الأمم من خلال عهدها وعبر نظام الانتداب المفخخ ثم منظمة الأمم المتحدة بنظامها الوصائي ولم يخرج هذا او ذاك عن كونه إرهابا مقننا، وعرفت الدول الغربية إرهاب اليمين الذي عرف بالإرهاب الأسود والإرهاب الذي مارسته (منظمة الفهود السود) في الولايات المتحدة ضد البيض المتمسكين بالتمييز العنصري والعرقي، كما ظهر مصطلح الإرهاب الأبيض والذي ارتبط بالتنظيمات الفاشية والنازية في المانيا وإيطاليا والنمسا والتنظيمات اليمينية المتطرفة في فرنسا، وسارت أمريكا اللاتينية على نفس النهج خاصة في الاوروغواي والسلفادور ضد السلطة الحاكمة الموالية للولايات المتحدة، واتخذ الإرهاب في السبعينات صورا أساسية تمثلت في جماعات سياسية محددة تستخدم العنف المنظم ضد الحكومات وتتحدد استراتيجية تلك الحركات عبر استقطاب الرأي العام من خلال نشر قضاياها.**

**اما في مرحلة الثمانينيات فقد شهد الإرهاب خلالها تحولا خطيرا ليس في استراتيجيته فقط بل كذلك في نوعية القائمين به اذ كانت العمليات الإرهابية عبارة عن عمليات وطنية او داخلية قاصرة على المجموعات في مواجهة السلطة الحاكمة او بالعكس، اما في هذه الفترة فقد تدخلت فيها قوى اجنبية لمساعدة الحركات الإرهابية ضد حكوماتها فأصبح الإرهاب تمارسه مخابرات بعض الدول الكبرى او الصغرى عن طريق عمليات مباشرة تقوم بها القوات الحكومية او الخاصة، وتحولت استراتيجية الإرهاب من مجرد بث الذعر الى احداث التدمير وايقاع الخسائر الكبيرة بالخصم بقصد التأثير على القرار السياسي وإظهار عجز الحكومات في حماية مواطنيها وهو ما يضطر الدولة المستهدفة في الغالب الى اتخاذ إجراءات قمعية مما يوقع الراي العام تحت الضغط، وتحولت أيضا تكتيكات الإرهاب من العمليات التقليدية والتهديد الى أسلوب جديد في استخدامه قديم في اصله وهو الأسلوب الانتحاري.**

**وفي عقد التسعينيات من القرن الماضي لم يعد للإرهاب نفس ملامحه الظاهرة اذ تحولت استراتيجيات الإرهاب في هذا العقد بشكل حاد من الدعاية عن طريق الفعل الى التدمير الكامل للخصم او على الأقل الانتهاك المستمر لقوى الدولة، واذا كان الارهابيون في الماضي يسعون الى نشر قضاياهم والتعريف بها عن طريق أفعال مثيرة لجذب الانتباه دون ان تحدث خسائر كبيرة ودون الإعلان عن مسؤوليتهم عن هذه الاعمال حتى لا يفقدوا تعاطف مؤيديها اما الان فانهم في حرب فعلية مع الدولة الخصم ومن ثم هدفهم هو تحطيم تلك الدولة وإحداث اكبر قدر من الخسائر.**

**وشكلت احداث الحادي عشر من أيلول(سبتمبر) 2001 والتي طالت مركزي التجارة العالمي والبنتاغون في الولايات المتحدة الامريكية نقلة نوعية في تاريخ الإرهاب الدولي واخرجت الإرهاب من شكله القديم التقليدي الى ما اصطلح علي تسميته ب(الإرهاب الجديد) وفي ذلك إشارة لذلك الشكل من الإرهاب الذي تحركه الأيديولوجيات العرقية المتطرفة والتي ذاع صيته في التسعينيات من القرن الماضي والذي يبقى هدفه التدمير، كما تجلت القفزة النوعية التنظيمية للإرهاب الجديد في طبيعة الأسلحة والقدرة الكبيرة والمتقدمة للجماعات الإرهابية والتي فاقت كل التصورات بما فيه عمل المخابرات واخرج الإرهاب من دائرته التقليدية السابقة الى أخرى اكثر حداثة ، كما اصبح الحديث عن شبكات عالمية سرية للإرهاب متعددة الجنسيات ومعقدة التنظيم مما كرس أطروحة ان الإرهاب اضحى الشكل الرئيس للصراع في العلاقات الدولية وبديلا للحروب التقليدية بالنظر الى هامشية تكلفته وفاعلية ضرباته، ومن المفارقات انه في الوقت الذي تعالت فيه الأصوات الغريبة بأن الإسلام هو الخطر الجديد على الحضارة الغربية بعد سقوط الشيوعية وان العمليات الإرهابية من توقيع الجماعات الإسلامية المتطرفة والإرهابيين الإسلاميين الهاربين من سلطة بلدانهم كما هو الحال في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا والدنمارك وألمانيا لكنها ما لبثت ان انقلبت على تلك الدول كما حصل مع تنظيم القاعدة الذي صنعته الولايات المتحدة لكنه ما لبث ان انقلب عليها وهناك من يرى ان اعتداءات الحادي عشر من أيلول 2001 مجرد ذريعة للقرن الأمريكي الجديد وان الولايات المتحدة قد علمت سابقا بهذه التدابير واستدرجت على طريقتها او شاركت بطريقة او بأخرى في تنفيذ هذه العمليات في تنفيذ هذه العمليات حتى تشق لنفسها طريقا لتحقيق أهدافها الجديدة عبر أرائها الجديدة وهي مكافحة الإرهاب.**